تغذية الفلاح

وعلاقتها بالديدان الطفيلية التى تصيبه

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب ومدير قسم الأمراض المتوطنة بوزارة الصحة

استرعت حالة الأطفال فى معاهد التعليم المختلفة انتباه الرأى العام المصرى بما نشر عن حالتهم الصحية وسوء تغذيتهم وشدة هزالهم ، حتى قام بعض الهيئات بتنظيم حفلات يراد منها جمع التبرعات وانفاقها فى تغذية هؤلاء الأطفال . ولكن هذه الحركة التى كانت تبشر ببعض الخير لم تلبث أن سكنت وتلاشت ولحقت بغيرها من الحركات الناضة التى بتنا نتذكرها ولا نرى لها أثرا .

على أن مشكلة سوء التغذية ليست مقصورة على الأطفال فى بعض معاهد التعليم ، ولا على أطفال الفلاحين فى القرى ، ولا على أطفال العمال فى المدن . وانما هى تمتد فتشمل الكبار فى كثير من أنحاء مصر وتتجلى آثارها فى سحنهم وفى بنياتهم حتى ليجوز لنا بحق أن نضع هذه المشكلة فى قائمة مشكلاتنا القومية الكبرى .

ومسألة التغذية مسألة معقدة فى ذاتها ، وهى تزداد تعقدا كلما ذكرنا أنها تخضع لحالة الفرد الاقتصادية ، أى لمقدار كسب الفرد وكفاية هذا الكسب أو عدم كفايته لسد مطالب الحياة المختلفة وبخاصة فى الأسر الكبيرة العدد ، كما تخضع لحسن أو لسوء تصرف الفرد فى كسبه ، إذ كثيرا ما يحدث أن ينفق معظم دخله فى حفظ مظهره الخارجى على حساب ما يلزم لغذائه وغذاء أسرته ، وكما تخضع أيضا لحسن أو لسوء اختيار الفرد للمواد الغذائية التى يشتريها وهو لا يميز النافع منها للجسم من غير النافع ، وكما تخضع بعد ذلك لوفرة أو لنقص المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها فى تقدير القيم الغذائية لمختلف الأطعمة الشعبية . وهذه الاعتبارات كلها وإن تكن ذات أهمية كبرى فى بحث حالة الشعب الغذائية ، إلا أننى لن أعرض لها خشية الإطالة وخشية الدخول فى تفاصيل لا تعنى غير المتخصصين والفنيين ، ولذلك سأقصر كلامى على مسألة الديدان الطفيلية المنتشرة عدواها فى مصر انتشارا و بيلا وعلى أثرها السيئ فى تغذية الشعب المصرى .

* * *

علاقة عدوى الطفيليات بالتغذية علاقة عرفت من زمن بعيد. فلقد ذكر ابن سينا فى كتابه "القانون فى الطب" منذ تسعة قرون، أن المصابين بالدودة الوحيدة يشكون دائما من

جوع كلبي يجعلهم يقبلون على الطعام بشهية نهمة و يستوعبون منه مقادير كبيرة . ولكن العلم الحديث أثبت أن هذه الحالة ليست مقصورة على المصابين بالدودة الوحيدة ، فطالما رأينا الأمهات المصريات يقلن للطبيب إن طفلهن يأكل كثيرا ولكن لا يظهر أثر هذا الأكل فى نمو جسمه ، ثم يتبين عند الفحص أن الطفل يؤوى الكثير من ثعابين البطن (الأسكارس) فى أمعائه .

وقد تنبه قدماء المصريين لعلاقة أخرى بين لطفيليات وتغذية الفرد فقد جاء فى ورقة البردى الطبية الشهيرة Ebers Papyrus أن العدوى بالديدان تسبب بطئا فى نمو الجسم وتأخيرا فى الوصول إلى سن البلوغ .

وما شوهد على الانسان يشاهد أيضا على مختلف أنواع الحيوان فى مصر بل إن الحيوانات أسوأ حالا منه ، فالمواشى المصرية والأغنام والدواب تأكل كثيرا ولا يظهر أثر ذلك عليها ، فهى على حال سيئة من الضعف والهزال . ولا غرابة فى ذلك فكثير منها يأوى فى أمعائه آلافا من الديدان التى تمتص غذاءه ولا تترك للحيوان إلا القليل مما يأكله يمتص من الامعاء و يستخدمه الحيوان فعلا .

ولنأخذ مثلا ديدان الأسكاراس (ثعابين البطن) فهى ديدان يبلغ طول الواحد منها ربع متر و يوجد منها عادة فى امعاء المصاب بضع عشرات ، وقد تبلغ فى حالات قليلة عددا كبيرا ، فهناك طفل من قليوب خرج منه بعد العلاج ٢٥٣ دودة من الاسكارس محفوظة فى متحف كلية الطب ، فلتتصور طفلا يؤوى ٥٠ دودة وهذا ليس بالعدد الكبير تأكل طعامه العادى الذى لا يكاد يهضم حتى تلتهمه هذه الديدان الواقفة للغذاء بالمرصاد . وإذا علمنا أن كل أنثى من هذه الديدان تضع فى اليوم الواحد ٢٠٠,٠٠٠ بويضة وهى تزود كل بويضة بمقدار من المخ لغذاء جنينها داخل البويضة حتى يبلغ أشده . وإذا علمنا أن المخ هو من أدسم مواد الغذاء وأغناها لأمكننا أن نتصور المقدار الكبير من الغذاء الذى يمتصه الاسكارس من أمعاء الطفل المصاب بها وأنها لا تترك له إلا القليل لينتفع به ولعلمنا السبب فى أن الطفل يأكل كثيرا ولماذا تشكو الامهات من أن هذا الأكل الكثير لا يظهر له أثر فى نمو الطفل .

وهذا هو الحال فى الدودة الوحيدة التى تبلغ السبعة أمتار طولا وتبلغ عقدها الألف كل منها تشبه حيوانات مستقلة من الوجهة التناسلية تخزن العدد الكبير من البويضات وتحتاج لكميات كبيرة من الغذاء تزود بها أجنتها وعلى ذلك فليس هناك غرابة فى أن المصاب بها يشعر بجوع مستمر كجوع الكلاب كما ذكر ابن سينا .

وهذا هو الحال أيضا فى عدوى ديدان الانكلستوما التى تضع أنثاها ٢٠,٠٠٠ بويضة كل يوم وتمتاز الانكلستوما عن الديدان الأخرى بإفرازها سما يحدث فقر الدم و يذهب بقوى الفرد البدنية و يضعف حدة ذكائه .

أما البهارسيا المدوية فتؤثر على التغذية بإتلافها جدران الأمعاء الغليظة فتعيق امتصاص الغذاء وتفتح مختلف الميكروبات طريقا للدخول إلى الجسم .

وهـــذه الطفيليات المختلفة لاتنتشر بنسبة واحدة فى أنحاء القطر المصرى فهى أكثر انتشارا فى الوجه البحرى منها فى مصر الوسطى ، وهى نادرة الوجود فى مصر العليا أى مديريات جرجا وقنا وأسوان ، وذلك يرجع الى انتشار الرى بالراحة وكثرة ترع الرى وارتفاع مستوى المـاء فى باطن الأرض ورطوبة التربة .

فبفحص سكان قرية صفط العنب فى مركز كوم حماده تبين أن ٩٦٪ منهم مصابون بعدوى الطفيليات بينما تبين بفحص سكان قرية السباعية بمديرية أسوان سنة ١٩٣٣ أيام ريها ريا حوضيا أن بها صفر٪ مصاب بعدوى الطفيليات ، ولكن بعـد إدخال الرى الصيفى اليها بواسطة الطلمبات صارت عدوى البلهارسيا بها ٤٤٪

وانتشار عدوى الطفيليات له أثر محسوس فى حالة التغذية ولكن كثيرا من الباحثين قد أغفلوها عند دراستهم هذا الموضوع ، فمتوسط كسب الفلاح فى أراضى الدلتا يفوق كثيرا مايكسبه زميله فى مديريات جرجا وقنا وأسوان ، وكمية الغذاء التى يتناولها الفرد فى الوجه البحرى أكثر وأسخى ومتنوعة إذا قورنت بما يأكله الأفراد من نفس الطبقة فى المديريات الجنوبية وهم الذين تنتج أراضيهم محصولا واحدا فى السنة عقب فيضان النيل ثم تستمر جرداء معرضة للشمس المحرقة باقى العام الى أن تغمرها مياه الفيضان فى العـام التالى .

إن أصحاب الأملاك فى هذه المديريات الجنوبية متذمرون من هذه الحالة ويطالبون الحكومة دائما بتحويل أرضهم من رى حياض إلى رى مستديم ليزيد دخلهم ، ولكننا إذا قارنا صحة سكان هـذه المناطق الجنوبية بصحة سكان الدلتا لوجدناهم أحسن المصريين صحة وأقواهم عضلا وأطولهم أعمارا فعليهم نعتمد فى الأعمال الشاقة كتعبيد الطرق وإنشاء المبانى الضخمة ومـد الطرق الحديدية وشق الترع والمصارف حتى فى أنحاء الدلتا نفسها وشحن وتفريغ السفن فى الموانئ ، فهو هو الصعيدى الذى يحتكر هذه الأعمال وما ذلك الا أن المقاولين قد وجدوا بالخبرة أنه أكثر انتاجا وأشد قوة من سكان الدلتا ، ولو شاهدنا هؤلاء الصعايدة مجتمعين فيما يسمى التراحيل لوجدناهم يعيشون على طعام تافه يحملونه فى أكياس من الخيش يكون معظمه من الخبز الجاف المصنوع من الأذرة والشعير وقليل جدا من الأدام مما يجدونه فى المزارع فى الأماكن التى يشتغلون بها .

ومرض البلاجرا وهو أهم مظهر لنقص التغذية فى مصر لا أثر له فى مـديريات الوجه القبلى الجنوبية ، ومعظم حالاته فى ريف الوجه البحرى حيث وجد فى بعض القرى أن نسبا عالية من السكان مصابون به ، وهـذا المرض يسبب طفحا جلديا فى الأجزاء الظاهرة من

الجسم التى لاتغطيها الملابس كالوجه والرقبة والصدر خارج حدود الجلباب ، وكذلك اليدين عند نهاية الأكمام والقدمين وهذا الطفح يسميه الفلاح القشف . هذا المرض هو الذى يعتمد عليه الباحثون فى تقرير نقص التغذية وتحديد مناطقها فى مصر . وقد وجد أن الطفيليات موجودة بكثرة فى الأفراد المصابين بهذا المرض حتى أن بعض الباحثين قد قرر أن البلاجرا فى مصر نتيجة لعدوى الديدان واعتبر الطفيليات كسبب مباشر للمرض. فأثناء الحرب الماضية تفشى مرض البلاجرا بين أسرى الاتراك فى المعادى ولا توجد البلاجرا فى بلادهم الأصلية وانتهى الباحثون إلى أن السبب فى تفشى المرض هو عدوى الاسكارس التى انتشرت بين الأسرى . وقد وصل بعض الباحثين المصريين إلى أن البلاجرا فى مديرية البحيرة سببها العدوى بالبلهارسيا المعوية ، ولكن المتفق عليه الآن هو أن الطفيليات تسلب الناس غذاءهم أو تعطل امتصاص الغذاء من الأمعاء فتسبب البلاجرا ، فليست العبرة بكمية الغذاء التى يتناولها الشخص بل بكمية الغذاء التى تمتص نهائيا من أمعائه و يستعملها جسمه ، ولاشك أن أهالى المديريات الجنوبية يستفيدون الفائدة التامة من كل ما يأكلون . وعلى تفاهة غذائهم فهو كاف لاحتفاظهم بحيويتهم كاملة بينما سكان الوجه البحرى تسلب الطفيليات معظم غذائهم على كثرته فتظهر عليهم علامات وأمراض نقص التغذية .

وللتغلب على هذه الحالة لنا أن نختار بين طريقين فإما أن نزيد فى غذاء الأفراد وتلاميذ المدارس حتى يمكننا أن نسد حاجة الطفيليات ويبقى ما يكفى لجسم الشخص أو أن نطرد الطفيليات ونعمل على عدم الإصابة مستقبلا فيكفيهم غذاؤهم الحالى .

وقد اتجه الرأى إلى العلاج الأول لأنه لم يتنبه الكثيرون إلى السبب الحقيق فى نقص التغذية وقامت تلك الحركة الكبيرة وجمع المال لإعطاء أطفال المدارس غذاء إضافيا ولم تلبث تلك الحركة أن جمدت ويكاد لا يكون لها أثر الآن . بل إننا نسمع أن الظروف الاقتصادية قد قضت بتخفيض كمية الغذاء التى يتناولها الطلبة . ولا شك أن هذا العلاج ليس بالأفضل فلو عالجنا هؤلاء الأطفال من هذه الديدان وهذا سهل ميسور لأصبنا كما يقال عصفورين بحجر واحد فشفيناهم من الأمراض التى تنشأ عن عدوى الطفيليات وهى مهمة خصوصا فى بيئات التعليم ، كالتأخر فى نمو الجسم و بلادة التفكير والذاكرة وكثرة النسيان والانيميا وهذه كلها ذات أثر لا يستهان به فى الهبوط بمستوى التعليم ويكون نتيجة التخلص من الطفيليات أن يصبح الغذاء الحالى كافيا فى أكثر الحالات .

وفحص الفرد لعدوى الطفيليات وعلاجه منها أمر سهل ميسور فمستشفيات البلهارسيا والانكلستوما المنتشرة فى طول البلاد وعرضها تعمل ذلك بدون أجر، وفحص البول والبراز مكرسكوبيا فى أى معمل للتحليل كفيل بمعرفة ما هنالك من الديدان الطفيلية . ويجدر بوزارة المعارف أن تعمم نظام فحص التلاميذ جميعا للوقوف على ما بهم من عدوى الطفيليات

وعلاجهم منهـا . وسترى إن فعلت أن ما سينتجه ذلك من رفع مستوى التعليم يعوضها أضعاف ما أنفقته فى سبيل الفحص والعلاج . فقد حدث أن بعض الأطباء زار مدرسة فى مكان ناء فى كينيا وفحص جميع التلاميذ للطفيليات وعالج المصابين منهم، وكان يشرف على المدرسة جماعة من الإرساليات الدينية فلاحظوا أن أكثر التلاميذ الكسالى والتلاميذ المشاغبين والذين يتكرر سقوطهم فى الامتحان مصابون بالانكلستوما وقـد تحسنت حالتهم بعد العلاج بشكل ظاهر فاتبعوا خطة علاج جميع الراسبين بعد كل امتحان بدون فحصهم طبيا لتعذر ذلك فى مكانهم الثانى وكانت النتائج طيبة جدا فى إصلاح حال التلاميذ .

فيجدر بكل والد أن يعمل على فحص أبنـائه دوريا لعدوى الطفيليات وعلاجهم منها خصوصا إن شـاهد على أحدهم سرعة نسيان ما يحفظه من الدروس أو عدم القـدرة على المذاكرة طويلا أو إذا شاهد المعلم عدم قدرته على الإصغاء والانتباه طول وقت الدرس فقد يكون الفحص وعلاج الطفل فى ذلك الوقت له أثره البالغ فى تحسين مستقبل حياة الطفل بل وتحويله من فشل محقق إلى نجاح تام .

دكتور

محمد خليل عبد الخالق

من حكم الإمام على

إن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحاسن الأمور التى تفاضل فيهـا المجداء والنجداء من بيوتات العرب و يعاسيب القبائل ، بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحمودة. تعصبوا لخلال الحمد: من الحفظ للجوار : والوفاء بالذمام والطاعة للبر ، والمعصية للكبر ، والأخذ بالفضل ، والكف عن البغى ، والانصاف للخلق ، والكظم للغيظ ، واجتناب الفساد فى الأرض .